الجزويتية والطرائق الاسلامية

(تابع لما قبل)

واما النظام الداخلي فان قوانين الرهبانيات على اختلافها مؤسسةٌ على قواعد الاخوّة بين جميع الافراد فليس هناك مزيةٌ ولاتفاوت ولكن الشريعة للجميع واحدة . فكل مبتدئٍ وفَّى شروط الابتدآء المرسومة في القوانين كان مقبولاً في النذر وكل ناذرٍ بعد ان يأتي عليهِ عددٌ محدود من السنين يكون عضواً في مجمع الرهبانية ولهُ اذا كان من المنتخبين ان ينتخب رؤسآءهُ واذا كان من المنتخبين ان يُختار لسياسة رهبانيتهِ وليس بعد ذلك شيءٌ آخر

اما في الطرائق الاسلامية فالامر على الخلاف فان للابتدآء عندهم درجات متعددة وكذا ما يليهِ من رُتَب الوظائف[1] . وليس لهم قانونٌ يجرون عليهِ بالسوآء فاذا طلب طالبٌ الدخول في طرائقهم مثلاً فمرجع امرهِ الى ما يرى شيوخ الطريقة وهم الذين يعيّنون لهُ درجة الامتحان

---

(١) ذكر نابوليون ناي في كتابهِ المعنون بالجمعيات السرية الاسلامية ان في طرائقهم سبع درجاتٍ للمؤمن حتى يصل الى الكمال فهو اولاً (طالب ثم) تلميذ ثم مريد ثم فقير ثم صوفي ثم سالك ثم مجذوب . وهناك درجتان اخريان اعلى من الدرجات المذكورة وهما درجة المحمدي ودرجة التوحيدي

ثم ان الترقي في الطرائق يكون تدريجيًّا فيكون الطالب مريدًا وهي درجة العدد الاكثر ثم مريد الخير ثم مريد خير الخيور . وهذه الدرجة الاخيرة لايصل اليها الا عددٌ يسير ممن اوتوا موهبة التصرف ومن خصائصها ان تميط الحجاب عن اسرار الطبيعة وتصرفها عن وجهتها وهو طور اصحاب الكرامات

فيفرضونها على ما يبدو لهم لا يرجعون في ذلك الى قاعدةٍ مقررة وليس عليهم فيه اعتراض ولا سؤال . ولذلك فهم غير متكافئين في المنزلة ولا يمكن ان تكون بينهم اخوّةٌ صحيحة على ما هو المفهوم من حدّها

وما ذُكر من التفاوت في درجات الابتداء يوجد بعينه عند الجزويت وهو ما صرّح البابوات غير مرةٍ بانهُ منافٍ للشرائع القانونية ولروح الكنيسة وبالتالي فهو لا يكون الا من اصلٍ اجنبيّ . فالمبتدئ عندهم بعد سنتين من ابتدآئهِ يستخدمونهُ في وظيفة التدريس وبعد ان يستمرّ فيها مدة اربع سنوات يجعلونهُ معاوناً زمنياً (والمراد بذلك ان يتعاطى المهن الحقيرة في الدير من نحو الاهتمام بملابس الرهبان والقيام على مهمات المطبخ والمائدة ومشترى بعض حوائج الدير وما في هذه المنزلة) ثم يرقى الى وظيفة معاون روحي (وهو الذي يتولى امور الاخويات والوعظ والتعليم الديني وما شاكل ذلك) . وبعد ذلك يُقبَل في اداء النذور الثلاثة او يُرفَع درجةً اخرى فينذر النذور الاربعة . وذلك ان الجزويتي خلا النذور الثلاثة المفروضة في سائر الرهبانيات وهي التبتل والطاعة والفقر عليهِ نذرٌ رابع وهو ان يَعِد وعداً خصوصياً ان يقف حياتهُ كلها على الجمعية (١) ويكتب هذا الوعد في صكٍّ على حدَتهِ . والرئيس العام عند الجزويت بمنزلة الشيخ عند اصحاب الطرائق فهو الذي يحكم في ترقية كل واحدٍ من رهابينهِ الى الدرجة التي يستحقها .

---

(١) كذا في كلام الكاتب ولعلّ الاصحّ وهو ما قرأناهُ في بعض كتب المحققين « ان يعد بان يكون مدة حياتهِ كلها رهيناً لاوامر البابا » ومعنى هذا ان يجعل طاعة البابا مقدمةً على طاعة رئيسهِ وفي هذا النذر سرٌّ لا يخفى على من تأملهُ

وقد ذكر ريبار دُمُنكلار ان كل شيء في هذه الجمعية ملتبس وان كل ما هو محدَّدٌ في قوانين سائر الرهبانيات على وجهٍ لا يقبل التبديل هو هنا ورآء حجابٍ كثيف ويُقضى فيه تبعاً لمُطلَق الهوى . قال ففي سلطان الرئيس العامّ ان يمسك الشخص كل حياتهِ تحت الامتحان فيقضي ايامهُ كلها في التدريس ولهُ ان يطردهُ او يحطهُ الى اخس حالات المعاون الزمني او يقصرهُ على درجة المعاون الروحي او يرضيهُ بدرجة النذور الثلاثة الوهمية او يرفعهُ الى درجة النذور الاربعة . وعلى الجملة فان من نذر على نفسه دخول هذه الجمعية لا يكون على ثقةٍ من تحقق نذره بالفعل لان هذا النذر يكون مفوَّضاً الى مشيئة غيرهِ ... فليس ثمة شيء ثابت يمكن اتخاذهُ قانوناً تتعين بهِ هذه الدرجات أو يُعرَف بهِ زمان الترقي فيها لان هذا الثبوت منافٍ لجوهر الجمعية نفسهِ ... فمن العبث ان يحاوَل التنظير بين هذه الاحكام الاستبدادية وقوانين سائر الرهبانيات

وهناك ثلاثة امور جوهرية تتحقق بها المشابهة بين الجمعيات الاسلامية والجزويت ومباينة كلٍّ من الفريقين للجمعيات الرهبانية . احدها ان الطرائق الاخوانية تعنو لشرائع سرية يعاهد اصحابها من انفسهم على ان يتكتموا عن العامة وان يتكتم بعض اصحاب الدرجات منهم عن بعض وهذا العهد يكون بيمينٍ احتفالية . على ان اختلاف درجات الدخول من مقتضياتهِ ان تكونَ الاجتماعات سرية وقد زاد على ذلك ان تعقب رجال التفتيش لهذه الجمعيات في زمن لويولا كان مما اضطرّها الى المبالغة في التكتم فلما ألف الجزويت جمعيتهم نسجوا على منوالها وكان اغناطيوس على ما ذكر

برتولي في ترجمة حياتهِ اذا سئل عن شيء من الحقائق المتعلقة بكيان الجمعية يقول انهُ كذلك أُنزل عليهِ في منزيزا . ولقد طالما شعر الناس في الخارج بوجود اسرار لهذه الجمعية فان اصولها سرّية ونظامها سرّي وشرائعها سرّية الى اقصى غايةٍ تقع في الامكان حتى ان المسيو هرمان ملّر يقول انها من اعلى سلّمها الى أدناها من الرئيس العام الى آخر مبتدئ لا يخلو واحدٌ من اشياء يكتمها ويموّه جانباً من السرّ الذي وُكل الى حراستهِ

ثم ان الجزويت عندهم تعاليم سرّية لا يكاشف بها الا المتقدمون في الدرجات وهم اصحاب النذور الاربعة والبابوات انفسهم يجهلونها ولهم كتبٌ خطّية هي المعوّل عليها في سياسة الجمعية يُحتفَظ بها تحت الاقفال الوثيقة كما نُصَّ عليهِ في قانونهم واذا توفي رئيس احد الاقاليم يجب ان يُبعَث بها الى الرئيس العام وهذه هي المتضمنة الشرائع الحقيقية للجمعية

والامر الثاني ان الاخوان بناءً على ما تقتضيهِ طبيعة الاجتماعات السرية ليس لهم زيٌّ مخصوص فلا يُرَى في هيئتهم الظاهرية ما يدلّ على شيء من الاخاء الذي بينهم . وكذلك الجزويت فانهم قد جروا على الحكمة نفسها فهم لا يتزيّون باللباس الرهباني اصلاً لكن يغلب ان يتزيوا بلباس قسوس البلد الذي يحلّون فيهِ الا ان هذا ليس بقاعدةٍ عندهم فلهم ان شاءوا ان يتزيّوا بلباس العوامّ . ولا يخفى ما في هذا الخروج من الاهمية لِما أنّ التزام ثوبٍ معلوم عند رجال الدين من كل جمعية يُعَدّ من اوكد الفروض فلا يباح لهم نزعهُ ولو يوماً واحداً والا كانوا عرضةً للعقوبة الشديدة واحياناً للقطع وفي بعض الرهبانيات لا يجوز لهم خلعهُ حتى في وقت النوم

وليس لهم من جميع الاحوال ما يبيح لهم استبدالهُ الا ان يكونوا تحت خطر القتل كفي وقت الاضطهاد مثلاً وهذا الاخير اغلبيٌّ لا عامٌّ

على ان الاخوان مع عدم اختصاصهم انفسهم بزيٍ معلوم فان لهم اصطلاحاً في لوث العمائم وشدّ اطرافها يمكن ان يتعارفوا بهِ . والجزويت لا يعدمون شيئاً من مثل هذا فانهم مع تزيّهم بلباس القسوس لهم هيئةٌ مخصوصة في طوق القبآء وشدّ الزنار بها يتميزون في النظر الدقيق عن سائر الاكليرس الذين لا علاقة لهم بالرهبانيات

والامر الثالث ان اصحاب الطرائق الاخوانية يضمّون الى انفسهم اناساً من العوامّ يربطونهم باخوّتهم ويستخدمونهم في اغراضهم الزمنية ولا سيما السياسية فيسعون بالمؤامرات والطرق الخفية وهم تحت حجاب التنكُّر . ومثل هؤلآء عند الجزويت الأتباع المعروفون بالجزويت السرّيين او اصحاب الردآء القصير وهم جماعاتٌ من العوامّ يدخلونهم في طريقتهم سرًّا ومنهم فرنسوا دُبُرْجيا وزير شرلكان فان اغناطيوس ادخلهُ في جمعيتهِ وقبلهُ في جملة اصحاب النذور . وقد جآء في كتاب مجمع الجزويت ان من الناس من يختار ان تجري الرياضات في منازلهم مبالغةً في الاستتار . ويقول الاب بتيديدياي ان النذر على ضربين احدهما صريح لهُ صيغةٌ مرسومة والآخر مقدَّرٌ لا غير اي يكون بالنية دون الصيغة وهو كالاول كافٍ لان يُعتبَر صاحبهُ راهباً حقيقياً ناذراً وبهذا النذر المقدَّر صار أُناسٌ من البابوات والكرادلة والامرآء والوزرآء ورجال السياسة من كل نوع جزويتاً سرّيين . وهناك ضربان آخران من ادق فنون الدهآء الجزويتي وهما القطع الكاذب والقطع

التعليقي وقد فسر المسيو هرمان ملر هذين الضربين من القطع فقال

قد يقطع الرئيس العام احد مرؤوسيهِ قطعاً ظاهرياً ليستخدمهُ فيما هو انفع لمصلحة الجمعية تحت الثوب العامّي او الاكليريكي على ان يعود الى الجمعية عند اول ايعاز وهذا ما يعبَّر عنهُ بالقطع الكاذب . واما القطع التعليقي فهو اشدّ التباساً بحيث يكون من اصعب الامور تمييز الجزويتي المعلّق عن شركة الجمعية وهو باقٍ على الارتباط بها من المقطوع الذي قد نُفي حقيقةً من الجزويتية حتى ان الجزويت انفسهم لا يعرفونهُ دائماً . فاذا قطعت الجمعية احد اعضائها وعلى الخصوص اذا كان هو الراغب في الانقطاع فانها تعتبر انهُ لا يزال لها عليهِ ما يسمَّى في قانونها بالمراقبة الحبية واذا حُلَّ من نذورهِ حتى باذن البابا لم يبطل حقها من ان تدعوهُ الى معاودة شركتها بان تجعلهُ يجدّد نذرهُ على الصيغة التي اعتاد الجزويت ان يعيدوها كل سنة . والحاصل ان الجزويتي يمكن في الوقت الواحد ان يكون مقطوعاً من الجمعية ولا يبطل مع ذلك اختصاصهُ بها وبقاؤهُ تحت سيطرتها

على اني لا اجهل ان لكل الجمعيات الدينية اخويات خارجية اي اناساً من العوام يحملون تحت ملابسهم علامةً تربطهم بالجمعية هي بمنزلة اختصارٍ للثوب الرهباني تتخذ على شكل حرزٍ ذي علاقة ولكن ليس هناك الى الآن الا تبنٍّ تقَوِيّ . على ان البابا لاون الثالث عشر تقليداً للجزويت السرّيين الذين هم قومٌ عاملون وكثيرو الاختلاط بالعامّة ارتأى ان يتخذ من تلك الاخويات الخارجية نوعاً من الفراماسونية العاملة يجعلها في وجه الفراماسونية الحقيقية . واما قانون الجزويت السرّيين من العوامّ فهو بدعةٌ

في الكنيسة ادخلها اغناطيوس وباستقرآء هذا القانون مع بقية الاصول القائم عليها النظام الداخلي للجمعية نجد بلا ريب برهاناً آخر على اقتباس هذه الاصول من نظام الجمعيات الاخوانية (ستأتي البقية)

اصل اللغات الساميّة

(تابع لما في الجزء السابق)

وتقرير ذلك ان اللغة نشأت اوّل وضعها بين نفرٍ معدود في اول مجتمع انسانيّ لما تدعو اليهِ ضرورة التفاهم والتخاطب ثم انقسم اصحابها بعد ما كثروا فصاروا احيآءً ثم قُرًى ثم امصاراً ثم ممالك فتباينت بذلك السنتهم تبايُن عاداتهم وملابسهم وسائر خصائصهم . وحَسْبُنا ثَبَتاً لذلك ما يُرَى لهُ من المُثُل لأيامنا هذه فانَّا اذا اعتبرنا هذا اللسان العربيّ في الذين نُقِل عنهم من البدو وفيمن اتصل اليهم من اهل الامصار لم نكد نجد قبيلةً الاّ ولها خصائص في منطوقها ولا اهل بلدٍ الاّ ويخالفون اهل البلد الآخر بل نرى ذلك بين القُرَى المتجاورة وبين اهل ناحيتين من البلد الواحد . ولنا من شواهد ذلك في التاريخ ما ورد في سفر القضاة من ان الجلعاديين اصحاب يفتاح حين تعقّبوا رجال افرائيم كانوا اذا رأوا الرجل منهم فانكر انهُ افرائيميّ يقولون لهُ قل شِبُّولَت اي سنبلة وكان بنو افرائيم ينطقون بالشين المعجمة سيناً مهملة فلا يفطن لغرضهم فيقول سِبُّولَت فيأخذونهُ . قلت وهذا الابدال في لغةِ افرائيم ينزع الى لغة العرب فانك قلَّما ترى شيناً في العبرانية الاّ وهي في العربية سين كما ان العكس في اللغتين كثيرٌ وسيأتي

الايمآء الى ذلك في محلّه . وقد وقع من هذا التباين في لغات العرب ما بين قبيلةٍ واختها وحيٍّ وآخر ما لا يحصى . فمنهُ ما هو بالابدال كقولهم في الخبآء الخباع وفي إذن عِذن وهي عنعنة تميم وقيس . وكقولهم في تميميّ تميمجّ وفي ايل أجل وهي عجعجة قُضاعة . وقولهم في القربوس القربوت وفي الناس النات وهي من لغة اليمن وتسمّى الوتم . ويقولون لَبَيْشَ اللهمَّ لَبَيْش اي لبَّيك وتسمّى الشنشنة . ومُضَر وربيعة يخصّون هذه الشين بالانثى يقولون عليشِ ومنشِ اي عليكِ ومنكِ . ومنهم من يزيدها بعد الكاف يقولون عليكِشْ وبكِشْ وتسمَّى الكشكشة . وبعضُ من ربيعة يقولون عليكِمْ وبكِمْ بكسر الكاف وتسمَّى الوَكم . ويقولون منهِمْ و بينهِمْ وتسمَّى الوَهْمْ . وفي هذا الكسر ميلٌ الى العبرانية فانهُ يُكسَر فيها ما قبل الميم من كاف الضمير وهآئهِ ابداً . واغرب ما جآء في هذا الباب قولهم تعظلم الليل اي اظلم كانهم ابدلوا من الهمزة عيناً على ما في لغة تميم فصار ملحقاً بالرباعي فالحقوهُ بمزيدهِ . وقول بعضهم دَحّاً مَحّاً يريد دَعْها معَها فخلط المخرجين فتولّد بينهما حرفٌ ثالث ومثل هذا مسموعٌ في السنة بعض عامّتنا . ومن ذلك ما هو بتقديم بعض احرف الكلمة على بعض كقولهم الجمانس العجانس وجلفهُ وجفلهُ وجمفهُ وجفعهُ والجُباجر والجُبارج وانفٌ اقم واقع وما اطيبهُ وما ايطبهُ وصاعقة وصاقعة ولعمري ورعملي واضمحلّ وامضحلّ وشَرْخ الشباب وشخرهُ الى غير ذلك . وكثيراً ما تنفرد الطائفة منهم بالفاظٍ تختصّ بها من بين سائر العرب او تختلف طائفتان في معنى لفظةٍ واحدة حتى ان كثيراً من تلك الالفاظ جآء بمعنيين متضادّين وهذا منتهى الخلاف .

فمن امثلة الاول القَدَس في لغة اهل الحجاز بمعنى السطل والمواهن للخوافي
من السعف والأَبُّ في لغة هُذَيل للخصر والشَّبيح للجادّ في الامور والجماميس
للنخل والحَزُومة للبقرة والعَنَج للشيخ والإِجْل في لغة اليمن للوَبيآء والعِنْك
للباب والبَغْش للسواد والشاعبان للمنكبين والسَّخْل في لغة اهل المدينة
للحَشَف من التمر وبلحارث بن كعب يسمّونهُ الشيص والظِمَخ في لغة طيّئ
للتين والطَرْق للنخلة والعَتيل للاجير وهذه من لغة جديلة والحَوْف في لغة
الشِحر للهودج والحَوْش في لغة العراق لشبه الحظيرة والصمَفْصة في لغة اليمامة
للسكباجة وغير ذلك . ومن امثلة الالفاظ المتضادّة قولهم سَجَدَ تستعملهُ
عامّة العرب بمعنى خضع وانحنى وهو في لغة طيّئ بمعنى انتصب وقولهم رَزَقهُ
اي انالهُ وهو في لغة الأَزْد بمعنى شكرهُ والسُدْفة تستعملها قيس بمعنى الضوء
وهي في لغة تميم بمعنى الظلمة وكذلك ليلةٌ غاضية جآءت في لغة بعضهم
للمظلمة وفي لغة غيرهم للمضيئة وتقول بنو عقَيل لَمقْتُ الشيء اي كتبتهُ
وسائر قيس يستعملونها بمعنى محوتهُ وجآءت الخريق للريح الباردة الشديدة
وللينّة السهلة والجَوْن بمعنى الاسود وبمعنى الابيض والجلَل للعظيم وللحقير
والضَحْضاح للقليل من المآء وللكثير منهُ والصريم للصبح وللّيل ورَتَوْتُ
الشيء اذا شددتهُ واذا ارخيتهُ والغابر بمعنى الماضي وبمعنى الباقي والبَسْل
للحلال وللحرام والأَشراط للارذال وللاشراف . ونكتفي بهذا القدر من
ذلك كلهِ وقوفاً عند الحدّ الذي يقتضيهِ غرضنا ولو شئنا ان نأتي على المنقول
منهُ لاقتضى كتاباً برأسهِ . وهذا كلهُ في لغة أمةٍ واحدة ذات مستقرٍ
واحد لم تفارقهُ منذ كانت فما الظنّ بأمتين قد افترقتا قروناً متوالية لا تجمع

بينهما ارضٌ ولا تضمّهما صلة . ومن هنا تعلم كيفية تباعد اللغات واشتقاقها وما يعرض بينها من التفاوت واذا اعتبرت العبرانية مثلاً مع العربية لم تجد بين الفاظ اللغتين فرقاً يزيد كثيراً عمّا بين لغة هُذَيل مثلاً ولغة اسد . أجَلْ ان لكلٍّ من اللغتين فروقاً ومصطلحات لا تتلآءم كما تتلاءم لغات العرب لكن غرضنا هنا الاستدلال على وحدة الاصل قبلَ افتراق الأمتين على حدّ ما قررناهُ في لغات قبائل العرب ومعلومٌ انهُ كان بين العرب والعبرانيين من انقطاع الصلة ما لم يكن بين العرب في انفسها فلا غرو اذا تباعدت مسافة الفرق بين اللغتين ولا سيما انهُ كان لكلٍّ من الأمتين شأنٌ ليس للاخرى . ومع ذلك فان المناسبة باقية بين الكثير من الفاظ اللغتين وخصوصاً الالفاظ الطبيعية التي لا تتغير بتبدُّل المواطن واختلاف الحالة الاجتماعية من نحو السمآء والارض والشمس واليوم والليل والسنة والريح والمطر والمآء والبَرَد والطلّ والنهر والزرع والبُرّ والحنطة ومن نحو اسماء الاعضآء كالرأس والعين والاذن والانف والشفة واللسان والسنّ والكتف واليد والذراع والكف والاصبع والظفر والبطن والرِجل والعَقِب وغيرها فان مادّة هذه الالفاظ في اللغتين واحدة على اختلافٍ قليل في بعض المقاطع والاوزان مما يرجع جُلَّهُ الى الخصائص المقوّمة لهيئة كلٍّ من اللغتين في الخارج ولا يخرج باللفظتين عن حدّ الوحدة . وكذا الافعالُ وسائر الاسمآء المأخوذة بالاشتقاق فان الجانب الكبير منها متناسب الوضع متداني اللفظ ولا سيما في الحرفين الاوّلين من الافعال الثلاثية على ما هو معلوم من شأن هذه الطائفة من اللغات ومصطلَحها في الوضع . مثال ذلك قول العبرانيين

قَصَّ بمعنى قَطَعَ وجآء في لغتهم قَصَبَ وقَصَرَ وقَصَعَ وقَصَفَ وقَصَى وكلها لا تخلو عن معنى القطع او شبهه . وهذه الالفاظ بعينها جاءت في العربية بالمعنى نفسه وجاء زيادةً عليها قولهم قَصَدَ وقَصَلَ وقَصَمَ مما لم يُنطَق به في العبرانية ولكنها لا تخرج مع ذلك عن كونها مجانسةً لما نطقوا به بردّها الى قصَّ بعد تجريدها من الزوائد واعتبار المناسبة في هذا الاصل اذ الحروف التالية انما زيدت لتخصيص معنى القطع بضربٍ من ضروبه او الذهاب به الى معنى يقاربهُ من نحو الكسر والهدم وما جرى مجراهما . ثم ان اللغة العبرانية تخلو عن بعض الحروف العربية كالضاد مثلاً فيرادفها عندهم ما يلاقيها في المخرج كالصاد يقولون مثلاً في الارض آرَص وفي ضِلَع صِلَع وعليه فمادّة قصَّ عندنا وما يشاركها من قَضَبَ واخواتها ينبغي ان تُرَدّ عند اعتبار المجانسة الى قصَّ ايضاً وقس على ذلك (ستأتي البقية)

الأُرجُوان

هو هذا الصِبغ الاحمر المعروف وهو على ما في مفردات ابن البيطار عن التيفاشي معرّب أُرغوان بالفارسية قال وهو شجرٌ ببلاد الفرس لهُ زهرٌ احمر شديد الحمرة فسمّت العرب باسمه كل لونٍ يشبههُ في الحمرة . انتهى المقصود منهُ ونحوهُ في كتب اللغة . ويُطلَق الارجوان على الثياب المصبوغة به يقال حلة ارجوان ومُطرَف ارجوان ومنهُ ما انشدهُ ابن برّيّ

عشيةَ غادرت خيلي حُميداً ... كأنّ عليهِ حلّةَ أُرجوانِ

والأُرجوان معروفٌ من زمنٍ قديم ولهُ ذكرٌ كثير في التوراة ومنهُ

كانت بعض شُقَق خيمة القدس وحجابها وملابس الكهنة وغير ذلك ولفظهُ بالعبرانية أرْغَمان . وهو من الاصباغ الثمينة لعزّة وجودهِ ولذلك لم يكن يلبسهُ الا الملوك ومنهُ كانت ملابس ملوك مديَن على ما ذُكر في سفر القضاة والى هذا المعنى يشير ابو الطيب المتنبي في قولهِ

مَن الجآذرُ في زيّ الاعاريبِ　　حمر الحلَى والمطايا والجلابيبِ

يريد ان حلاهنَّ من الذهب ومطاياهنَّ النياق الحمر وهي اكرم النياق عند العرب وثيابهنَّ حمر اي مصبوغة بالارجوان يعني انهنَّ من نسآء الملوك . وكان عند الرومان لا يحقّ لبسهُ الاّ للقائد الذي يعود من احدى الحروب منتصرًا ثم خُصّ بالامبراطور حتى صار لبسهُ كنايةً عن الامبراطورية وفي الازمنة المتأخرة صار من خصائص اكابر رؤسآء الكنيسة ثم صاروا يكنون عن رتبة الكردينالية بالارجوان الروماني او البرفير الروماني وهي لفظةٌ يونانية

والارجوان في الاصل اسمٌ للمادّة الملوِّنة بهذا اللون ثم أُطلِق في عُرف العلمآء على الحيوان الذي يفرز هذه المادة وهو أصنافٌ كثيرة تبلغ فيما ذكروا نحو المئتين وكلها من الحيوان البحري من النوع الهُلاميّ ذي الصدف البوقي . وغالبها يعيش في الشواطئ ولاسيما على الصخور المكسوّة بالطحلب المرجاني واكثر ما توجد في البحر الرومي وقد رُؤي منها في البحر المحيط وفي المانْش . واشهر اصنافهِ اثنان احدهما المعروف بالارجوان القديم لونهُ احمر يضرب الى البنفسجي وطول صدفتهِ من قيراطين الى ثلاثة في نصف ذلك عرضاً والثاني المعروف بارجوان الصباغين وهو ابيض الظاهر وصدفتهُ الى الصُفرة او الزُبدة ولكلٍ منهما مميزات ليس هنا محل ذكرها

ولهذا الحيوان غدّة في باطنهِ تفرز السائل الارجواني ولونهُ يختلف ما بين الاحمر القرمزي الى البنفسجي وقيل الاحمر يخرج من الحيوان الذي يعيش في اللجّة والبنفسجي من الحيوان الذي يعيش في الصخور

قيل واول من عرف الارجوان واستعملهُ في صبغ المنسوجات اهل صور في زمنٍ لا يُعرَف بالتحقيق ولذلك كانت لهم فيهِ الشهرة الاولى وكان الارجوان الصوري افخر الارجوان واثمنهُ. وكانت طريقة اكتشافهِ فيما زعموا ان راعياً كان يمشي على شاطئ البحر فبصر كلبهُ بصدَفةٍ ملقاةٍ على الشاطئ فتلقفها وطحنها بين انيابهِ ونظر اليهِ الراعي فرأى خطمهُ مخضباً بالحمرة فتنبه لذلك وكان من ثم اكتشاف هذا الصبغ الثمين . وكان في اول امرهِ محصوراً في اهل صور ثم انتشر في سائر مدن فينيقية ولم يمضِ زمنٌ حتى عُرِف في اكثر المدن الصناعية وعلى الخصوص في ايطاليا لكثرة هذا الحيوان في شواطئها وكان في هذه المدن كلها سبباً لثروةٍ واسعة حتى يقال ان الاسكندر لما افتتح مدينة سوسن وجد فيها من المنسوجات الارجوانية ما تُقدَّر قيمتهُ من سكة هذه الايام بمئة مليون فرنك

وكانت طريقة الفينيقيين فيهِ على ما ذكرهُ پلينوس انهم كانوا بعد ان يصطادوا اصدافهُ يدقّونها ثم يطرحونها في الماء المملوح وهو في درجة الغليان وبعد ذلك يتركونها منقعةً فيهِ على درجةٍ معتدلةٍ من الحرارة مدة ثلاثة ايام حتى ينحلّ ما فيها من الاجزاء اللحمية فيصفون السائل عنها ثم يبخرونهُ حتى يتطاير ما فيهِ من الرطوبة المائية فيكون معدًّا للاستعمال . وعند ارادة الصبغ بهِ يُغمَس المنسوج في محلولهِ بعد ان يؤسَّس بماء الكاس ثم يُنشر في الهواء

حتى يجفّ فيكتسب لونهُ شيئاً فشيئاً على التدريج

وقد استفيد من هذا البيان ان اللون لا يكون متحققاً في مفرز الحيوان ولا يكتسب النسيج تمام لونهِ حتى يُنشَر مدةً في الهوآء فهناك فعلٌ كيماوي يتم بمباشرة النور كما حققهُ علماء الطبيعة في العصور المتأخرة . وقد ذكر المسيو دُبوا انهُ بعد فحص الغدّة المفرزة في الحيوان وجد أنها تتضمن مادّة لا لون لها يمكن استخراجها بغسل الغدّة بروح الخمر (السبيرتو) وهذه المادة اذا عرِضت للهوآء حدث فيها فعلٌ كيماوي مجهول فتلونت بالحمرة او بالزُرقة تبعاً لصنف الحيوان المستخرجة منهُ

على ان هذا الصبغ قد أُهمل اليوم للاستغناء عنهُ بالموادّ الكيماوية كما استغنوا عن النيل النباتي بالنيل الصناعي وعن الفوّة بالأليزارين واشهر الموادّ التي يستعملونها في مكانهِ مجهَّزات البنزيدين والنفطلين وغيرهما من مستخرجات زيت القطران المعدني ولذلك لم يبقَ لهُ اهمية الا بالقياس الى قيمتهِ التاريخية

صنعة القراطيس المالية

وقفنا في احدى المجلات العلمية على فصلٍ لبعض مكاتبيها وصف فيهِ صنعة هذه القراطيس في الولايات المتحدة فآثرنا تعريبهُ لما في هذه الصنعة من الغرابة والدقة قال

تبتدئ صنعة القراطيس المالية او سكة الورق في الدار المعروفة بدار الحفر والطبع في واشنطن وفي هذه الدار طائفةٌ كبيرة من الحكّاكين

اي النقاشين في المعادن مُرصَدةٌ لحفر طوابع السكة من صفائح الفولاذ وفيها اوسع مطبعةٍ في الارض تشتمل كل ردهةٍ منها على خمس مئة عامل من رجال ونسآء . وبعد ان يُطبَع على الصفائح المذكورة توضع في صناديق من الحديد لا يعلم مكانها الا كبار المتوظفين . ولكل مطبعةٍ عدّادٌ يَسِم كل قرطاس عند الطبع بعدده حتى تكون الحكومة دائماً على بيّنةٍ من عدد المطبوع . والسرّ كل السرّ في كيفية صنع الورق الذي تُتخذ منهُ هذه القراطيس وهو يجهَّز في معامل مسّاشوسّيت تحت مراقبة واحد من رجال الحكومة يُتَّخذ من خِرَق في منتهى النعومة تُغسَل وتنقَّى وتُغلى حتى تصير عجينةً رائبة وبعد ان يتمّ صنعهُ ويصير لفائف من الورق الناعم يخلَّل بخيوطٍ دقيقة من الحرير تُدخَل في بنآئهِ بطريقةٍ سرّية وهو الامر الذي يتميز بهِ ويتعذر على المقلدين محاكاتهُ

وبعد ذلك يُعَدّ هذا الورق اولاً وثانياً ثم يجمَع رِزَماً متساوية تُغلَّف وتُحفَظ في دار الخزينة في صناديق من الحديد وعند الحاجة يُرسَل منها القدر الذي يُحتاج اليهِ الى دار الحفر والطبع . وقبل اخراجهِ من دار الخزينة تُعَدّ الرزم ثلاث مرات وتدفع الى الموكل بتسلُّمها فيعدّها مرةً اخرى ثم يذهب بها الى دار الطبع وهناك تُحَلّ لفائفها ويُخرَج الورق منها فيتناقل بين ثمانٍ وعشرين يداً من ايدي جماعةٍ من النسآء مُرصَدةٍ لهذا العمل ليتحقق العدد الواصل منهُ الى الطباعين . وقبل ان يخرج العمال من المكان الذي يُعَدّ فيه الورق ينبغي ان يعرض كل واحدٍ منهم على الحاجب جوازاً يثبت انهُ قد خرج من عهدة كل قطعةٍ من الورق مرّت بين اصابعهِ

وقد يتفق ولو في النادر ان تضيع احدى هذه الاوراق واذ ذاك تُقفَل الابواب ويُمنَع كل واحدٍ من العمال الذين يكونون في ذلك القسم ان يخرج قبل تمام التفتيش فاذا لم توجد تلك الورقة غُرّم متوظفو القسم بالقيمة التي كان ينبغي ان تُطبَع عليها . وقد اتفق من مدة قريبة ان ضاعت ورقة بيضآء كانت معدّةً لأن تكون قرطاساً بقيمة ثمانين دولاراً فضُرِبت قيمتها على العمال

ومتى وصلت القراطيس مطبوعةً الى دار الخزينة تُوسَم كل واحدةٍ منها بختمٍ ملوَّن على وجهها وهناك ست مطابع تطبع الختم المذكور فيُجرَى عليها نفس الاحتياطات التي أُجريت على المئتين والخمسين مطبعة كبيرة التي تُطبع بها القراطيس وأقلّ قُصاصةٍ من الورق تسقط من الآلات تؤخذ للحال ويُبعَث بها الى دار الحفر والطبع لتُردّ عجيناً وايّ عاملٍ اخذ قصاصةً حكم عليه ِ بسجن خمس عشرة سنة وغُرّم بخمسة آلاف دولارٍ

وفي اثنآء هذه الاعمال المختلفة يُفحَص عدد القراطيس ايضاً ست مرات واخيراً تُقسَم رِزَماً في كلّ منها مئة قرطاس وتُغلَّف بورق يكتب عليه ِ رقمها وتختم بالشمع الاحمر وتُحفظ في دار الخزينة في صناديق من الحديد فلا تنتهي الى هناك حتى يكون كل قرطاسٍ منها قد عُدّ ثلاثاً وستين مرة . والصناديق التي تحفظ فيها هذه القراطيس سبعة يحرسها ليلاً ونهارًا فرقةٌ من الجند يرأسها امير فرقة وقائم مقام يطوفان كل ربع ساعة من الليل مرة حول الخزينة . وهذا الاحتياط الشديد ليس عن عبث فان اصحاب المطامع ما زالت عيونهم موجهةً الى هذا الكنز وقد حاولوا عدة مرار

بطرائق شتى ان يصلوا الى الملايين المخزونة هناك ومع كل ما ذكر من الحرص فانهُ من مدة اربعين سنةً سُرق من هذا الموضعِ ربع مليون من الدولارات وكان المخزون فيهِ اذ ذاك خمسة واربعين مليارا

ثم ان الاوراق التي تتلف في ايدي الناس لعارض أو لطول التعامل بها لها موضعٌ مخصوص تُستَرَدّ فيهِ ويُعطى عوضها والعمّال في هذا الموضع من النسآء وهنّ يتناولنَ القراطيس التالفة ويفحصنها ولهنّ في هذا الفحص مهارةٌ عجيبة بحيث لا يجوز عليهنّ شيءٌ مزوَّر على انهُ اذا ظهر احياناً شيءٌ من ذلك أو وقع غلط في العدد غرمنَ النقص . والقراطيس القديمة بعد ان تُعَدّ تقطع نصفين بآلةٍ تسمى المِقصَلة (كليوتين) ثم يُجمَع كل نصفٍ وحدهُ ويُرسَل الى موضعٍ مخصوص فيحرَّر عددها مرةً اخرى وبعد ذلك تُرسل الى المعمل فيعاد طبخها ويُصنَع منها ورقٌ جديد

يومُ عيدٍ في الجنَّة

معرَّبة عن الفرنسوية بقلم حضرة الكاتب الشاعر الالمعيّ قسطاكي بك الحمصي

للهِ ربّةِ العرشِ والاكوانِ ... فِكَرٌ تفوتُ تصوُّرَ الانسانِ
ولقد اتاهُ ذاتَ يومٍ خاطرٌ ... رقصت لهُ الجنّاتُ بالسكّانِ
فأقام في اسمى قصور جنانهِ ... عيداً لهُ سجدت ذوو التيجانِ
ودعا اليهِ وهو اكرم مَن دعا ... غِيدَ الفضائلِ زينةِ العمرانِ
لكنهُ ساوى الجميع وربما ... فاق الصغارُ الكُبرَياتِ الشانِ
فسلكنَ في لطف التحيّة مسلكاً ... يزري على النسماتِ في الاغصانِ

وجميعهنَّ جرينَ جريَ قرائبٍ ‏ ‏ وشقائقٍ في طاعة الرحمانِ
ونَهِلنَ كاسات الولآء وقد تبا ‏ ‏ دلنَ الحديث تبادلَ الاقرانِ
لكنَّ ربَّ القصر جلَّ جلالهُ ‏ ‏ اذ كان ينظر نظرةَ العرفانِ
لمحَ اثنتينِ كأنما احداهما ‏ ‏ لا تعرف الاخرى فتأتلفانِ
ولعلمهِ بطريقة البشر الأُلى ‏ ‏ بلغوا من العمران خير مكانِ
مدَّ اليدينِ اليهما متناولاً ‏ ‏ يدَ كلِ خودٍ منهما ببنانِ
والى اليمين اشار وهو يقول ذي ‏ ‏ في الارض تُدعى رَبَّة الاحسانِ
واشار للاخرى وقال وهذهِ ‏ ‏ تُدعى كذلك رَبَّة الشكرانِ
فتفرَّسَ الاختانِ كلٌّ منهما ‏ ‏ في اختها كتفرُّسِ الجيرانِ
اذ منذ خَلَق الله دُنيانا الى ‏ ‏ ذا اليوم لم تتواجه الأُختانِ

متفرقات

رش السكك بالبترول — قد اصطلحوا منذ مدة على ان يستخدموا البترول عوض المآء لرش السكك وفائدتهُ الصاق الغبار بالارض وتسهيل الانتقال على الطرق اذا كانت قليلة التعهد . واول من امتحن ذلك اهل كاليفرنيا فكان عنهُ نفع ظاهر حتى اقتدت بها سكك سائر البلاد منعاً لهذه السُحُب من الغبار التي تثور مع جري القُطُر . وقد وُجد ان مقدار البترول الذي يُستهلك في هذا الرش يكون نحواً من ٩٠٠٠ لتر لكل ميل وهو يعالج علاجاً مخصوصاً بحيث لا يكون عنهُ رائحة وبهذه المعالجة يخثر قوامهُ حتى

لا يعود قابلاً للاشتعال . والرشة الاولى منهُ تقتضي من النفقة ما بين ١٥٠ و٢٢٥ دولاراً لكل ميل تبعاً لبعد المكان الذي يجتلب منهُ البترول واما الرشات التالية فتكون نفقتها اقلّ كثيراً وقد التزمت احدى الشركات في كاليفرنيا ان ترش السكك ثلاث مرات في السنة بحيث تمنع كل غبار من اول مايو الى آخر نوفمبر بمبلغ ١٠٢٠ فرنكاً للميل

وهذه الطريقة فضلاً عمّا فيها من الصاق الغبار بالارض فانها تقلل نفقات الحصب والتعهد وتكون بها الموادّ المحصوب بها اطول اقامةً . وزيادةً على ذلك فان الزيت يميت كل نباتٍ في الطريق ويتألف منهُ قشرةٌ صلدة لا ينفذها المآء فيمتنع بذلك فعل السيول في تخريب السكك

فوائد

نقل الصور الفوتغرافية على الزجاج أو الصيني — نشرت احدى جرائد هذا الفن طريقةً لنقل الصور الفوتغرافية المطبوعة على الورق الى الزجاج أو الصيني وذلك بأن تُمدّ على سطح الصفيحة أو الانآء المراد نقل الصورة عليهِ طبقة من الهُلام (الجلاتين) المصنوع بالبيكرومات . وهذا المحلول يركّب من ٥ غرامات من الهلام النقي و ١٠٠ من المآء وغرامين أو ثلاثة من بيكرومات البوتاس . وبعد ان تمدّ هذه الطبقة تُترَك الى ان تجفّ وتعرَّض للنور حتى لا تعود قابلةً للانحلال ثم تُغسل لازالة القدر الزائد من البيكرومات . اما الصورة فتؤخذ على الورق بحسب العادة وبعد ان تعالج

في مغطس الذهب وتثبت كما تثبت بقية الصور تغطس في محلول من الفورمول التجاري على نسبة ٥ في المئة ثم توضع على الزجاج أو الصيني المُعَدّ على ما ذكر وتُدَلك بمدلك أو باسطوانة من المطاط حتى تلتصق بجملتها ثم تكبس بعد ان يوضع عليها شيء من الورق النشاف وتترك حتى تجف وبعد ان يتم جفافها تُغمس اولاً خمس دقائق في الماء البارد ثم تغمس ربع ساعة في ماء على ٨٠° س وبعد ذلك يُسلَخ الورق الذي كانت عليهِ بأن يُمسَك من احدى زواياهُ فيخرج ابيض وتبقى الصورة لاصقة على ما تحتهُ

آثار ادبيّة

كتاب حاضر المصريين أو سرّ تأخرهم — هو سفرٌ ظهر حديثاً من تأليف حضرة الاديب محمد افندي عمر احد المستخدمين في مصلحة البريد المصري نسج فيهِ على منوال الكتاب المعنون بسرّ تقدم الانكليز قال ولكنهُ مع الاسف يشرح سرّ تأخر المصريين لا تقدمهم . والحق يقال انهُ كتابٌ جمع فأوعى تتبع فيهِ احوال المصريين فلم يترك جليلاً ولا دقيقاً مما يجري في دُورهم ومجتمعاتهم ومعاملاتهم ومحادثاتهم وزواجهم وتربيتهم وتعليمهم وسائر شؤونهم الاذكرهُ أو ذكر لُمعةً منهُ وشيئاً من امثلتهِ فكان على الحقيقة مرآةً تمثل كل ما ظهر وبطن من حالة المصريّ في جميع طبقاتهِ . ونحن مع اعترافنا بصحة اكثر ما جاء فيهِ ان لم نقل بصحة جميعهِ كما شهد بذلك حضرة الفاضل احمد فتحي بك زغلول فيما كتبهُ مقدمةً للكتاب فانا لا نبرئ المؤلف من

تحاملٍ على ابنآء وطنهِ ومبالغةٍ في بعض المواضع حتى كان بكلام المندد اشبه منهُ بكلام النصيح المشفق . ولسنا ندفع مع ذلك قول من ادعى انهُ ليس من اثر قلمٍ واحد بل الذي يستقري عبارتهُ وغرضهُ يجد فيهِ آثار اقلامٍ شتى لا يخلو بعضها من روح استخفافٍ بالوطني وتعمدٍ للازرآء بهِ لغرضٍ في النفس أو لشيء في الطبع ... وهو اكبر عيبٍ يؤخذ على المؤلف بحيث ان كتابهُ جآء متفاوت اللُحمة متشعب المرامي الى ما اختلط بهِ وجه القصد منهُ واصبح بعضهُ ينقض بعضاً . بيد انا نقول على الجملة ان الكتاب على ما فيهِ لا يخلو من فوائد كثيرة يمكن ان يستبصر بها المصريّ وان انكر بعضها فان قليل ما فيهِ مما يؤاخذ عليهِ المؤلف لا يبطل فضلهُ في الكثير مما يستحق عليهِ الثنآء الطيب وقد قيل كُل المناقيد وأُرم العود للنار

والامة ولا ريب في حاجةٍ الى اصلاحٍ كثير فعسى ان يكون هذا الكتاب مهمازاً لعقلآئها ومقتدريها وحاثاً لهم على تدارك ما هي فيهِ من سوء الحال مما اذا تتبعهُ متتبعٌ لم يجد لهُ مصدراً الا تفشي الجهل واستيلآء الخرافات والتقاليد الوهمية وهو السر الصحيح في تأخر امم الشرق على العموم ولا دوآء لهذه الآفة الا تعميم العلم وابتنآؤهُ على القواعد الصحيحة والله المسدد الى الخير والفلاح بفضلهِ عز وجل وحسن الهامهِ

كتاب الحضرة الانيسية في الرحلة القدسية — هو كتاب رحلةٍ للشيخ عبد الغني النابلسي الشهير ذكر فيهِ مسيرهُ من دمشق الى بيت المقدس ووصف كل ما مرّ بهِ من المشاهد والمعاهد والآثار التاريخية والدينية

وقد طُبع بعناية حضرة الاديب ديمتري افندي نقولا احد منشئي جريدة الاخلاص الغرّاء وعلى نفقة حضرة صاحبها الفاضل ابرهيم افندي عبد المسيح مجآء في نحو ٨٠ صفحة متوسطة وهو يباع في ادارة الجريدة المذكورة وثمنهُ خمسة غروش

الدنيا في باريس — تقدم لنا في بعض اجزآء السنة الماضية الايمآء الى هذا الكتاب المفيد وهو مجموع الرسائل التي كتبها حضرة الفاضل اللوذعي احمد زكي بك الكاتب الثاني لمجلس النظار في وصف معرض باريس العام سنة ١٨٩٠ وقد تمّ طبعهُ من عهدٍ قريب فجآء فيما يقرب من ٣٠٠ صفحة مزيناً بالصور والرسوم . وهو يتضمن وصف كل ما اشتمل عليهِ المعرض من المعروضات الصناعية والطبيعية وتفصيل ما يختصّ منها بكل امةٍ من الامم التي اشتركت فيهِ ويتخلل ذلك كثيرٌ من الفوائد التاريخية والعمرانية . فنحض القرآء على مقتناهُ وهو يباع في ادارة مجلة طبيب العائلة وثمنهُ خمسة عشر غرشاً مصرياً

الاخلاق مجموع عادات — عنوان خطابٍ القاهُ في نادي المدرسة الشرقية بزحلة حضرة الاستاذ البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس البيان العربي والعلوم التعليمية في المدرسة المشار اليها . وقد تصفحنا الكثير منهُ فوجدناهُ مشحوناً بالفوائد الفلسفية والنصائح الادبية والعبر التاريخية حريًّا بأن تثقّف عليهِ الاخلاق وتُقتبَس منهُ محاسن الآداب فنثني على حضرة الخطيب ونسأل لهُ تحقيق ما توخى بهِ من النفع وايلاءهُ جميل الثواب

فكاهات

شارلمان(١)

لما توفي البابا غريغوريوس الثالث سنة ٧٤٠ خلفهُ البابا زكريا الاول وهو الثاني والتسعون من بابوات رومية . وزاد هـذا على سلفهِ في تحمسهِ الديني وكان بصرهُ يطمح الى فرنسا وذلك على عهد تملك كلوتير فعمل على تمديد سلطتهِ الى تلك البلاد . وكان كلوتير قد نبذ الدين وعكف على ملذات الحياة ورأى في شعبهِ من الوثنيين ما يوافق شهواتهِ الحيوانيـة فانحاز اليهم تخلصاً من ثقل نير الدين الذي كان كرسي رومية يضعهُ على رقاب الملوك . فاجتهد البابا زكريا المذكور في كسر شوكة كلوتير فاستدعى اليهِ واحدًا من امرآء فرنسا يسمى بِيبِّين ومنحهُ بركتهُ الرسولية وقلدهُ امرًا اطلق لهُ فيهِ ان يفعل ما شآء بشرط ان يخلع كلوتير عن كرسي الملك وان يرشد الشعب الفرنسوي الى الدين المسيحي . وكان بِيبِّين هذا ايضاً من المتشددين في الدين فما صدق ان اخذ مثل هذه الرسالة حتى انضم الى اخيهِ كارلوس فجيَّشا جيشاً عظيماً وزحفا بهِ على فرنسا معتمدين على بركة البابا وما يعرفان في انفسهما من البسالة وكانا من اشجع رجال عصرهما . واول معركة اصليا نارها لم يكن الشعب الفرنسوي الوثني على استعدادٍ لها فانهزم امامهما فاغتنما تلك الفرصة لالقآء الرعب في قلوب الاهالي فكانا مع جيوشهما يقتلان الرجال والنسآء والاولاد بدون شفقة ولا رحمة ويدمران البيوت ويحرقان القرى واخيرًا اسرا كلوتير وقبضا على زمام الحكومة الفرنسوية وكانا اذا عثرا على وثنيّ قتلاهُ باشنع اصناف العذاب او رأيا كاثوليكيًا قرّباهُ الى البلاط وغمراهُ بالنعم والمواهب السنية فما عتمت فرنسا ان طرحت عنها المذهب الوثني وانتحلت الديانة النصرانية وصارت باسرها كاثوليكية

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وبعد ذلك اتفق بيبين مع اخيهِ وسارا الى المانيا للقصد نفسهِ وفي وقتٍ قصير تمكنا من اخضاعها لحكمهما وقيادة الشعب لطاعة الكرسي الرسولي وبعد ان تمهد الامر لبيبين قاسم اخاهُ فأجلسهُ على عرش فرنسا وابقى لنفسهِ قسماً من المانيا فاقام في مقاطعة باڤاريا في قصر على قمة جبل راتسبون وبنى هنالك ديرًا يقوم الآن على آساسهِ دير الرهبان البندكتيين المشهور

وكان في بريطانيا لذلك العهد ملكٌ يدعى كرنيول سمع باخبار بيبين وبأسهِ وفتوحهِ فعزم ان يحالف هذا الملك القادر . وكان لهُ ابنةٌ وحيدة اسمها برتا وهي بارعة في الجمال وعلى جانب عظيم من التقوى والوقار فارسل الى بيبين بعضاً من رجال بلاطهِ يذكرون لهُ هذه الفتاة ويعرضون عليهِ الاقتران بها . فلما بلغ الوفد المذكور قصر بيبين استقبلهُ بغاية التجلة والاكرام وسرَّهُ غرضهم جدًّا فاستدعى مشيريهِ وفاوضهم في الامر فاستحسنوهُ ايضاً ولكنهم قالوا لهُ انهُ ربما بالغ الوفد في مديح برتا واشاروا عليهِ ان يتحقق جمالها واخلاقها قبل ان يعد بالاقتران بها . فاستصوب بيبين الرأي واعطى صورتهُ للوفد ليقدموها الى ملكهم وامرهم ان يأتوهُ بصورة الفتاة ليراها قبل ان يقطع بالامر ثم اسبغ عليهم الهدايا والصلات النفيسة وصرفهم شاكرين

وبعد مدة عاد الوفد وقد استصحبوا صورة الاميرة برتا فلما رآها بيبين راعهُ جمالها وشغف بها وصمم ان يستحضرها بدون تأخير . وكان بين وزرآئهِ رجلٌ يدعى كارين ماكرٌ محتال قد تمكن بدهآئهِ من التغلب على افكار بيبين حتى جعلهُ مشيرهُ الخاص . فلما رأى هذا صورة الاميرة برتا ظهرت على وجههِ علامات الاستغراب الشديد وبقي مدةً يتفرس في الصورة ولا يرفع نظرهُ عنها . ثم اسرَّ الى الملك انهُ يودُّ مكالمتهُ سرًّا فلما خلا بهِ قال لم ارَ يا مولاي في حياتي اجمل من صورة هذه الاميرة فهي لا تليق الا بك ولكني اخشى ان تكون الصورة خلاف الحقيقة فاذا امرتني اذهب من قبلك الى بلاط ملك بريطانيا واشاهد الفتاة عياناً فاذا وجدتها كما وصفوا ورأينا من صورتها احضرتها معي والا تنصلت لدى الملك ابيها بحسن تدبيري وسياستي بحيث لا ادع سبيلاً للنفار بينكما . فاستحسن بيبين مقالهُ ثم جهز

كارين بافخر الهدايا ودفع اليهِ خاتمًا نفيسًا ليقدمهُ الى الاميرة برتا وصرف الوفد وكارين واقام ينتظر قدوم وزيرهِ وهو لا يعلم ما طوي لهُ في صحف الغيب

وكان لكارين زوجةٌ وابنة قد اسكنهما بلدةً بعيدة عن راتسبون لكي لا يبقى عندهُ من يراقبهُ في عمل المنكر والتحيل والمكر فلما رأى صورة الاميرة برتا وجد فيها شبهًا شديدًا من ابنتهِ بحيث كانت كانها صورتها بعينها فسوَّلت لهُ نفسهُ الماكرة ان يستبدل الاميرة بابنتهِ ويزوجها للملك بيبين بدون ان يدري احد فيكفل لنفسهِ بقآء السطوة والجاه . وجآء استحسان الملك لمشورتهِ موافقًا لخطتهِ فما صدق ان سافر مع الوفد حتى ارسل خبرًا الى زوجتهِ ان توافيهُ مع ابنتهِ الى قريةٍ صغيرة عند غابة كثيفة تدعى غابة أسبرغ ثم جعل يحث السير حتى بلغ دار الملك كرنيول فاستقبل بالتعظيم والاجلال . ولما رأى الاميرة برتا وجدها تفوق في جمالها وتهذيبها اضعاف ما وصفها الوفد فقدم لها خاتم الملك علامة للزواج وفرَّق الحلى الثمينة والجواهر وهو يلحّ في سرعة الرجوع الى ملكهِ . فالح عليهِ كرنيول ان يبقى عشرة ايام لتودع الاميرة آلها وذويها وتستعدّ لمقابلة زوجها العظيم فقبل كارين ولكنهُ قال للملك ان مولاي يشترط عليك امرين اولهما ان تلتثم الاميرة برتا من الآن ولا تكلم احدًا من الغربآء الى ان تبلغ بلاط زوجها والامر الثاني ان مولاي لا يسمح لاحد من رجالك بمرافقة الاميرة الا الى منتصف الطريق حيث تكون رجالنا في انتظارنا . فقال الملك كرنيول ليكن ما ارادهُ ملكك وتشرع زوجتهُ في طاعتهِ من الآن . ولم يدرِ احدٌ بمكيدة كارين وانهُ قد ابتدأ باعداد وسائلهِ الجهنمية لاهلاك الاميرة وقد طلب ان تخفي وجهها وصورتها لكي لا يراها احد من رجالهِ ويعلم فيما بعد ما فعل

وفي اليوم المعين ودعت الاميرة برتا والديها وآلها وسارت بصحبة كارين وعددٍ من الكبرآء والعظمآء الذين ارسلهم والدها لتشييعها الى حدود بلادهِ . وكان للاميرة كلبٌ صغير قد اولعت بهِ فأخذتهُ معها واخذت عيبةً اي محفظة من الجلد اودعتها بعض ادوات التطريز لتسلي نفسها بالعمل في اثنآء السفر . فلما بلغوا الحدود رجع رجال كرنيول وتابع كارين السفر بالاميرة مع رجالهِ الاخصآء الى ان بلغوا

عشية يوم المنزل الذي تنتظرهُ فيهِ زوجتهُ وابنتهُ فترجلوا ودخلوهُ للمبيت

ولما انتصف الليل وساد سكونهُ وكان الجميع الا كارين غارقين في بحار النوم نهض متلصصاً الى عبدَين من عبيدهِ فأيقظهما سرًّا وخلا بهما ثم دفع اليهما صرةً فيها ثوب كانت تلبسهُ ابنتهُ وامرهما ان يذهبا الى غرفة الاميرة برتا فيوقظاها ولا يدعاها تأتي اقل حركة ينتبه لها احد ثم يلبساها ثياب ابنة كارين ويأخذاها الى وسط الغابة فيذبحاها هناك ويدفناها ويرجعا اليهِ قبل بزوغ نور النهار بلسانها وقميصها الملطخ بالدم ليتحقق انهما فعلا ما امر وتهددهما بالقتل والتعذيب ان هما افشيا سرَّهُ.

فأخذ العبدان الثياب وذهبا الى غرفة الاميرة فأيقظاها فارتعبت جدًّا من نظر العبدين في غرفتها وهمت ان تصيح مستغيثةً فرفع احدهما خنجرهُ فوق رأسها واشار اليها ان تلزم الصمت فسكتت ثم امراها بنزع ثيابها والارتداء بما احضراهُ لها ففعلت مكرهةً ثم اومأا اليهـا ان تسير امامهما فسارت وقد اخذت في يدها محفظتها وهي لا تدري احلمٌ ما تراهُ ام حقيقة . وكان كلبها قد استيقظ على تلك الحركة فتبع مولاتهُ وهو يبصبص بذنبهِ وينظر بين هذا وذاك كانهُ يستغرب هذا المسير

وخرج العبدان بالاميرة تحت ظلام الليل الحالك فأوغلا في تلك الغابة الكثيفة واشتد الخوف والضعف على الاميرة فلم تعد تقوَى على المسير فتأبط كلٌّ من العبدين احدى يديها وكانا كأنهما يحملانها . اما هي فكانت غارقة في صلاة حارة تطلب من الله ان يتداركها برحمتهِ ثم وقفت بغتةً وقالت لهما قولا لي بربكما الى اين تسيران بي وماذا تبغيان مني . فجعل العبدان ينظران الواحد الى الآخر ثم اخبرها احدهما بأوامر كارين فأوشك ان يغمى عليهـا ولكنها تجلدت وصاحت من قلب جريح رُحماك يا الهي فلتكن ارادتك

وبلغ العبدان وسط الغابة فوقفا وكانا في اثناء الطريق يكلمان بعضهما بعضاً بالاشارات فلما وقفا علمت الاميرة ان ساعتها قد دنت فجثت على الارض وجعلت تصلي بحرارة فابتعد العبدان عنها خشيةً ووقارًا ثم قال احدهما للآخر ان قلبي لا يطاوعني على قتل هذه الفتاة فكلما رأيت جمالها الساحر وسمعت صوتها العذب ورأيت

طاعتها العميآء يذوب فؤادي . فقال الآخر وانا لا اشعر بأقل من ذلك ولكن ، اذا يقول كارين اذا لم ننفذ امرهُ . فقال الاول لا اسهل من خداع اهل المكر فاذا اتفقت معي على تخليص الاميرة واقسمت لي ان لا تشي بي فانا اتعهد لك بعدم معرفة كارين ذلك واننا نتال منهُ جزآء عظيماً . فاقسم الثاني على ذلك ورجعا الى الاميرة فلما رأتهما قادمين استعدّت للموت وصاحت بصوت ضعيف قائلةً . اني اصفح عنكما من كل قلبي فما انتما الا مأموران بهذه الفعلة الشنعآء وانما ارجو منكما ان لا تطيلا عذابي . فصاح احدهما وقال خفّفي عنكِ ايتها الاميرة فنحن ممن يخافون الله ايضاً وسنبقي عليكِ اذا وعدتِنا انك لا تحاولين الرجوع الى بيت ابيكِ ولا تسعين في اظهار نفسكِ فيكفيكِ ان ترجي حياتكِ ومن كانت مثلكِ لا بد ان تحصل قوتها اينما ذهبت . ولما وعدت الاميرة بذلك نزعا عنها قميصها ولفا بهِ الكلب الذي كان لا يفارقها ثم طعناهُ بخناجرهما مرارًا فمات ذلك المسكين وعيناهُ شاخصتان الى الاميرة بذلٍ وانكسار كانهُ يقول لها انني اموت فدًى لكِ يا مولاتي . ولم تستطع الاميرة ان تقف امام هذا المنظر المؤثر فسترت وجهها بيديها وجعلت تنتحب . ولما اكمل العبدان عملهما قطعا لسان الكلب واخذاهُ مع القميص ثم ودعا الاميرة وحرّضاها ان تبتعد عن المكان وان تحافظ على السر ورجعا الى كارين . وما صدّق هذا ان علم باتمام الامر حتى انهض ابنتهُ فألبسها ثياب الاميرة واخبرها بحقيقة الامر وان الملك پيپين سيتخذها عروساً لهُ تحت اسم برتا بنت ملك بريطانيا ولقّنها ما ينبغي ان تقول وتفعل . ولما انبثق الصباح ركب القوم وعاودوا المسير حتى بلغوا بلاط پيپين فجآء يستقبل عروسهُ وهو يظنها الاميرة فادهشهُ جمالها ووقعت من قلبهِ موقعاً جليلاً ورزقهُ الله منها ثلاثة بنين وابنتين وكان اكبر اولادهِ يدعى لاون وهو الذي انتُخب بابا في رومية وعرف باسم لاون الثالث بعد وفاة ادريان الاول سنة ٧٩٥

اما برتا فبعد ان فارقها العبدان ورأت نفسها امام جثة كلبها الغارقة في الدم جعلت تنتحب وترثي ذلك الخل الوفي ثم حفرت بيديها الناعمتين قبرًا اودعت فيهِ بقايا كلبها وسارت في تلك الغابة وهي لا تعلم الى اين يقودها المسير . وبزغ

نور الصباح فلم ترَ امامها الا اشجارًا كثيفة وهي كلما تقدمت ازداد طريقها وعورةً واثر فيها الجوع والتعب فخارت قواها ولكن خوفها من ضواري البر اعارها قوةً اخرى فكانت تجر نفسها قسرًا وهي تؤمل الوصول الى قريةٍ صغيرة فتخدم فيها بقية عمرها . وعند المسآء نظرت عن بعدٍ دخانًا مرتفعًا فايقنت بوجود اناس هنالك وقصدت محل الدخان فلما بلغتهُ رأت بيتًا صغيرًا فسُرّي عنها واسرعت الى الباب فقرعتهُ اولاً وثانياً ثم سقطت الى الارض مغشيًا عليها

وكان البيت لفحام يقيم فيهِ مع زوجتهِ وابنتهِ فلما سمع الرجل قرع الباب اسرع ليرى من الطارق فوجد الفتاة مطروحةً على الارض فاستدعى زوجتهُ وابنتهُ وحملوها الى داخل البيت واستعملوا لها ما حضرهم من الوسائط حتى عادت الى رشدها . وادرك الفحام احتياجها الى الراحة والقوت فاسرع واحضر لها طعاماً فاكلت الفتاة ثم نامت نوماً هنيئاً . ولما استيقظت سألوها عن شأنها فاخبرتهم انها يتيمة تائهة لا اهل لها ولا اصدقآء وانها تود الاقامة عندهم بمنزلة خادمةٍ بدون اجرة وانها تشتغل بما يمكنها من دفع نفقاتها بشرط ان لا يعلم احد بوجودها . وكان الفحام طيب القلب وقد علم من هيئة الاميرة وكلامها انها تقول خلاف الواقع وان لها حديثاً خاصًا ترغب في كتمانهِ فلم يحاول استطلاعهُ . فطيب خاطرها واوصى زوجتهُ بها وعاد الى عملهِ

وكانت برتا تقوم في كل صباح الى تنظيف البيت وترتيبهِ وتساعد صاحبتهُ في اصلاح الطعام وما شاكل ذلك حتى اذا فرغت من عملها جلست الى جانبٍ واخذت عيبتها واشتغلت بالتطريز وفي نهاية الشهر من دخولها بيت الفحام اكملت قطعة كبيرة من ابدع ما يمكن عملهُ من التطريز الجميل فاستدعت الفحام ودفعت اليهِ تلك القطعة وقالت خذها الى البلد واعرضها للمبيع وهات بنصف ثمنها نسيجًا وخيوطًا لاصنع غيرها وابقِ لنفسك النصف الثاني على حساب نفقتي عندكم . فاخذ الرجل القطعة وهو لا يدرك لها قيمةً ولكنهُ لم يشأ ان يكسر خاطر الفتاة ولما بلغ المدينة عرضها على احد التجار فأُعجب باتقانها ودفع لهُ فيها مئةً من الفرنكات . فدهش الفحام ولم يصدق ان اخذ المبلغ حتى اسرع فاشترى بجانبٍ منهُ ما اوصتهُ بهِ برتا وعاد بالباقي وهو

يطير فرحاً . ولما بلغ البيت اخبرهم بما كان وهو يستغرب الامر ثم دفع بقية الدراهم الى الفتاة فلم تشأ ان تقبلها ولما ألحت عليهِ ان يأخذها في مقابلة ما يطلب منها اجرة اقامتها عندهم قبل الرجل فاودع الدراهم في خزانتهِ على حدة وقد صمم ان لا يتصرف في شيء منها

وبقيت برتا على هذه الحالة تسلم الى الفحام في آخر كل شهر قطعةً من عمل يديها فيذهب الرجل ويعود بثمنها حتى توصل الى مبيع القطعة الواحدة بما يساوي ثماني مئة فرنك وهو مع كل ذلك لا ينفق شيئاً من مال الفتاة بل يحفظهُ لها الى حين الحاجة

وبعد ثلاث سنوات من تاريخ هذه الحادثة ذهب پيپين ببعض حاشيتهِ للصيد قاصداً غابة اسبرغ فقضى فيها عدة ايام . وتبع مرةً غزالاً مع احد اخصآئهِ وما زالا يطاردانهِ وهو يجري امامهما حتى بلغا بيت الفحام وكان الملك قد اعياهُ الحر والتعب فدخل البيت ليستريح وطلب كأساً من المآء البارد ولما كان ادركهُ الظلام عزم على المبيت في منزل الفحام . وبعد طعام المسآء جلس پيپين ازآء الفحام واخذ يحادثهُ عن الصيد وما شاكلهُ ولم يعرف احدٌ انهُ هو الملك . وسنحت من پيپين نظرة فرأى برتا فارتعش جسمهُ كمن مسهُ مجرًى كهربآئي . ثم رأى الفتاة قد تغير لونها واسرعت فخرجت من الغرفة فسأل الفحام هل هذه الصبية ابنتهُ فتوقف قبل ان يجيب ولم يستطع پيپين صبراً فقال اعلم يا هذا انني ملكك فقل لي من هي هذه الفتاة واياك ان تخفي الحقيقة . فاخبرهُ الفحام بما علم من امر برتا فزاد اضطراب پيپين وامر باحضارها ليسألها عن تاريخ حياتها . ولما مثلت امامهُ جثت لديهِ وقد عرفتهُ للحال لانها رأت صورتهُ في بيت ابيها ثم اطلعتهُ على جلية امرها وما حصل لها وتوسلت اليهِ ان يصفح عن كارين وابنتهِ . ثم قالت لهُ انك ولا شك في سرور مع زوجتك فلا بأس من هذا البدل واسمح لي ان ابقى هنا فقد اعتدت هذه المعيشة واحبُّ الفحام كوالدي . اما پيپين فارسل تابعهُ في الحال سرًّا الى البلدة المجاورة فاستدعى كاهناً وعقد لهُ في تلك الليلة على الاميرة برتا في منزل الفحام . ثم امر الجميع بكتمان الامر

الى حين ولبث مع الاميرة يومين ثم ودّعها ووعدها انهُ بعد ما يرجع الى قصرهِ ويتمم ما نواهُ يعود فيأخذها اليهِ كما يليق بمقامها . ثم اعطى الفحام مبلغاً من النقود واوصاهُ ان يعتني بزوجة ملكهِ

ولما عاد پيپين الى قصرهِ وجد رسولاً من قبل اخيهِ ينتظرهُ ويخبرهُ ان ملكاً يدعى مرسيلس قد جآء بجيش جرار من الوثنيين يهاجم فرنسا ويطلب منهُ النجدة في الحال . وكان پيپين كابيهِ شارل مرتيل سريع الانفعال والاندفاع فأجل امر زوجتهِ وقام بجنودهِ للحال فانضم الى اخيه في فرنسا وانهمك في تلك الحرب المشهورة التي دامت تسع سنوات

اما الاميرة فلما تمت ايامها بعد اقترانها بالملك رزقها الله ولدًا جميلاً ففرحت بهِ ودعتهُ شارل وذهب الفحام فبشر پيپين فاجازهُ على تلك البشارة بجائزة سنية وكان پيپين يرسل تابعهُ الوحيد الذي عرف بامر الاميرة فيزورها وولدها وكان كلما عاد يخبر الملك عنهما وانهُ استطلع من ملامح الولد انهُ سيكون عظيماً مقتدرًا

وحدث انهُ لما ترعرع شارل كانت والدتهُ تهذبهُ وتلقنهُ الآداب التي تعلمتها في بيت ابيها وكان يخرج في كل يوم الى حقلٍ في الغابة يجتمع فيهِ بعض اولاد القرية للهو واللعب . ومرّ يوماً على اولئك الغلمان فارسٌ ولما اقترب منهم ترجل عن جوادهِ واوصى احد الغلمان بالمحافظة عليهِ ثم غاب قليلاً ولما عاد وجد ان الحصان قد سُرق لجامهُ. فشق ذلك على الفارس وانتهر الغلمان مطالباً اياهم باللجام فانكروا جميعاً انهم رأوهُ. ولما يئس الفارس وكان شارل يلاحظ ذلك تقدم الى رفقآئهِ وقال ايها الاخوان كلنا نعلم ان اللجام قد فقد ولا بد ان احدنا اخذهُ فالذي فعل ذلك يجب ان يرد اللجام الى هذا الفارس ليذهب في سبيله . ولما لم يجبهُ احد قال بما انهُ لم يقرّ احدٌ باخذ اللجام فالذي اخذهُ وانكر يدعى سارقاً والسارق جزآؤهُ الموت شنقاً فيجب ان نفتش الجميع . فهتف الغلمان فرحاً وتراكضوا اليهِ فأخذ في تفتيشهم الواحد بعد الآخر حتى عثر على اللجام مخبوءًا في جيب احدهم فاخذهُ منهُ واعطاهُ للفارس فامتطى للحال جوادهُ وسار وهو معجبٌ بنباهة الغلام . ولما عاد شارل الى رفقآئهِ قال دونكم

ايها الاخوان تنفيذ الحكم فاخذوا السارق وربطوهُ بعنقهِ الى غصنٍ حنوهُ من شجرةٍ كبيرة وكلهم ضاحكون لاعبون ثم افلتوا الغصن من ايديهم فارتفع بالولد المسكين وبقي معلقاً . ورعب المنظر الغلمان فركضوا هاربين الى بيوتهم وبقي ذلك الولد وحدهُ مشنوقاً حتى فاضت روحهُ

ولما انتشر الخبر هاج والدا القتيل وابلغا الحكومة الامر فقُبض على شارل ولم تعرف القضاة كيف تحكم في دعواهُ لصغر سنهِ ولعدم تعمدهِ القتل فاحيلت قضيتهُ من بلدةٍ الى اخرى حتى بلغت الملك بيبين يوم رجوعهِ الى بلاطهِ فألف للحال محكمة عالية للنظر في هذه الدعوى حضرها كبار رجالهِ واخصآؤهُ وبينهم كارين وثلاثة من اولادهِ . ثم امر فأحضروا اليهِ الغلام وهو لا يعرف انهُ ابنهُ وكان بصحبة الغلام امرأةٌ مقنعة بالسواد . ولما عُرض الامر على بيبين نظر الى الغلام وقد شعر في قلبهِ بعاطفة حنوٍ نحوهُ فقال لهُ أتعلم ايها الغلام انهُ سيحكم عليك بالموت . فقال الغلام بحدّةٍ اذا كان ذلك فاقتلوا قبلي الملك بيبين . فقال الملك ولماذا . قال الغلام لانهُ هو وضع الشريعة التي يقول فيها ان جزآء السارق الشنق فان كنت قد عملت بحسب شريعتهِ وأستحق الموت فهو يستحقهُ قبلي لانهُ هو الذي امر بذلك . فتعجب الملك والحاضرون من فصاحة الغلام وثبوت جنانهِ واطرق الملك هنيهةً ثم استدعى الغلمان الباقين وسألهم عن حقيقة الامر فاخبروهُ بالحادثة كما جرت واكدوا لهُ ان المشنوق سرق اللجام وان شارل طلبهُ مرارًا منهُ وانكرهُ الولد . فقال بيبين نعم لقد اخذ العدل مجراهُ ومات الولد جزآءِ سرقتهِ فلا يمكنني ان اعاقب هذا الغلام وهو انما انفذ الشريعة التي سننتها انا . ثم التفت الى شارل وقال لهُ من هو ابوك ايها الولد . قال لا اعرفهُ يا مولاي . فقال بيبين لعلهُ مات وانت طفل . قال لا لم يمت بعد لاني لا ازال اسمع والدتي تذكرهُ في صلاتها صباحاً ومسآءً . فقال الملك ومَن هي والدتك . فنزع الغلام خاتماً من يدهِ وقال ان والدتي قالت لي اذا سألك الملك عن اسم والدتك فقدم لهُ هذا الخاتم . فلما وقع نظر بيبين على الخاتم عرفهُ انهُ خاتمهُ الذي ارسلهُ لخطبة الاميرة برتا فوضحت لهُ حقيقة الحال وتذكر زوجتهُ وعرف ان

الغلام هو ابنهُ . فقال لهُ اسرع ايها الغلام واحضر والدتك الى هنا . فقال الغلام هي هنا يا مولاي واشار الى المرأة المقنعة بالسواد . فنهض بيبين اليها واخذ بذراعها ثم صاح باعلى صوتهِ اسمعوا يا قوم ما اقولهُ لكم فاليوم يوم تنفيذ العدل ولا بد ان اخبركم امرًا لم تسمعوا بأغرب منهُ . فصمت القوم واخذ الملك يتكلم فقال

عهد احد الملوك الى وزيرٍ من خواصهِ ان يأتيهُ بابنة ملكٍ آخر ليتزوج بها فذهب الخائن واحضر الفتاة ولكنهُ لما بلغ بها متعسف الطريق سلمها الى اثنين من عبيدهِ وامرهما ان يذبحاها ويدفناها وكان لهُ ابنةٌ فألبسها ثياب الاميرة واحضرها عوضًا عنها فزوجها من الملك . فصاح الجميع يا لهُ من خائن . فقال الملك مخاطبًا احد اولاد كارين بماذا نحكم على من فعل هذا الفعل . فقال اخفُّ شيء يعامل بهِ يا مولاي ان يربط الى رجلي ثورٍ شرس ويُطارَد الثور ليتمزق جسمهُ حتى يموت اشنع الميتات ثم تحرق جثتهُ خارج المدينة . فنظر الملك الى كارين واذا بهِ قد امتقع لونهُ وصار كالاموات فقال قد سمعت ما حكم بهِ عليك ابنك وهو من لحمك ودمك . ثم شرح الملك القصة بتمامها فتعجب الحاضرون ووافقوا على الحكم على كارين وطلبوا تنفيذهُ في الحال . فأمر الملك فأوثقوا كارين الى مؤخر ثور شرس وطعنوا الثور بالحراب فجرى راكضًا وهو كلما رأى كارين معلقًا بهِ يزداد نفارًا فيجري تارةً ويثب اخرى حتى مزقهُ قطعًا و بعد ذلك اخذوا جثتهُ واحرقوها خارج البلدة

ثم امر بيبين بنفي زوجتهِ الاولى ابنة كارين لمشاركتها اباها في الخيانة وابقى اولادهُ منها لانهم ابناءٌ شرعيون . ثم جدد الافراح لرجوع زوجتهِ الاميرة برتا وأعاد اكليلهُ عليها . وتعجب شارل جدًا من انقلاب الاحوال لما رأى نفسهُ ابن اعظم ملوك اوربا لذلك العهد وكان يتقدم في النباهة والذكاء حتى اكتسب مع صغر سنهِ محبة واعتبار جميع الشعب . وبقي بيبين ملكًا سعيدًا الى ان توفي سنة ٧٦٨ فترك الملك بعدهُ لابنهِ شارل وهو المعروف بشارلمان الشهير